إدريس عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ (مريم:٥٦ . ٥٧).

صدق الله العظيم

إدريس هو أحد أنبياء الله الذين رفعهم الله ـ جل جلاله ـ مكانا عليا . . وهو من سلالة شيث بن آدم عليه السلام .

وقد اختلف الرواة فى مكان مولده . البعض قال إنه ولد وعاش فى مصر . . فهو قد ولد فى طيبة . . وكان اسمه هرمس الهرامسة . . أى حكيم الحكماء . . وأنه أول من خط بالقلم وأول من علّم الناس القراءة والكتابة، وأنه كان على علم بالفلك . . كما علم الناس الزراعة :

وقالوا : أنه كان يحفظ وصايا جده شيث الذى أخذها عن أبيه آدم .

وقال البعض : أنه ولد فى بابل، ومنها اتجه إلى مصر .

وقال البعض الآخر : أنه نشأ فى شبه الجزيرة العربية . .

مهما يكن من شىء فلا خلاف أنه كان صديقا نبيا لقوله تعالى فى سورة مريم :

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٦ - ٥٧].

وقال عنه فى سورة الأنبياء:

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥، ٨٦].

وما دام كان نبيا كما يشير القرآن الكريم، فكانت دعوته هى التوحيد، وعبادة الله الواحد الأحد، وعدم الشرك.. وإتيان الفضائل والتمسك بمكارم الأخلاق والبعد عن الرذائل.. فكل دعوات الرسل تدور حول هذا المحور.. الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الأخر.

وتقول الروايات التى تحدثت عنه أنه «إدريس بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم».. فهذا يعنى أنه وجد منذ زمن موغل فى القدم.

فإن كان قد ولد فى مصر.. فهذا يعنى أنه كان قبل عصر الأسرات.. ومن هنا فقد ربط البعض بينه وبين أسطورة إيزيس وأوزوريس وحورس.. وعلى أساس أن الأسطورة تقول أن أوزوريس هو أول من علم الناس القراءة والكتابة وعلم الفلك والزراعة، وأنه رفع إلى السماء.. وكل هذه الأوصاف اتصف بها إدريس عليه السلام..!

مهما كانت الروايات.. عن إدريس وأصله.. ومكان ولادته. ومهما حاولت مختلف دول العالم القديم أن تنسبه إليها.. لأن

المصريين أطلقوا عليه «حورس» أو «هوروس»، وأطلق عليه اليونانيون «هارماكيس» والعبرانيون أطلقوا عليه «خنوع».. والعرب قالوا إنه «أخنوخ».. وأطلق عليه القرآن الكريم اسم: إدريس.. فكل هذا ـ إن دل على شيء ـ فإنما يدل على أن إدريس عليه السلام كان له دور كبير فى الحضارة الإنسانية، وأنه ترك بصمات فى حياة الناس.. بصمات دينية ودنيوية.. وإنه بعد أن أدى رسالته رفعه الله مكانا عليا كما يقول القرآن الكريم.

ومن الأقوال التى تنسب إليه:

* أول ما يجب على المرء الفاضل بطباعه المرضى فى عاداته.. المرجو فى عاقبته تعظيم الله عز وجل.. وشكره على معرفته. وبعد ذلك فللناموس عليه حق الطاعة له والاعتراف بمنزلته، وللسلطان عليه حق المناصحة والانقياد، ولنفسه عليه حق الدأب فى فتح باب السعادة، ولخلصائه عليه حق التجلى لهم بالود والتسارع إليهم بالبذل فإذا أحكم هذه الأسس لم يبق عليه إلا كف الأذى عن العامة وحسن المعاشرة بسهولة الخلق.

ومن الأقوال التى تنسب إليه أيضا:

* حياة النفس فى الحكمة وموتها فى الجهل.

* حب الدنيا وحب الآخرة لا يجتمعان فى قلب أبدا.

* لا تحسدوا الناس على مؤاتاة الحظ، فإن استمتعاهم بقليل.

وقيل أنه عاش على الأرض اثنتين وثمانين سنة.. والذين كتبوا عن إدريس عليه السلام توصلوا إلى أن الآثار العلمية والروحية التى تركها فى دنيا الناس لا تحصى.. وأن الكهان قد أخذوا ما توارثوه عنه وجعلوه سرا من الأسرار لا يعرفه إلا الكهنة والخاصة.. وأنه بمرور الزمن تناسى الناس ما جاء به نبى الله إدريس عليه السلام من دعوة التوحيد الخالصة.. فاتجهوا إلى الكواكب والنجوم الذى حدث الناس عنها، وانحرفوا عن دعوته فعبدوها، ثم ما لبثوا أن عبد بعضهم الأصنام على اعتقاد أنها تقربهم إلى الله، ثم تناسوا مع مرور الزمن رحيق السماء.. فعبدوا الكواكب والنجوم والأصنام، وابتعدوا عن دعوة التوحيد التى نادى بها إدريس عليه السلام.

ومن هنا فقد طبق الظلام على البشرية.. وساد الجهل.. وكان لابد للسماء أن تعيد الناس للفطرة السليمة.. والفطرة السليمة لا تستقيم إلا مع الإيمان.. ومن هنا توالت رسالات الله فى كل العصور.. من آدم إلى النبى الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام..

ولا أحد يعرف عدد الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى إلى الناس، لأن القرآن لم يذكرهم كلهم ولا نعرف عنهم إلا ما ذكرهم فى الكتاب الكريم وهم خمسة وعشرون رسولا ونبيا.

قال تعالى:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣ - ١٦٦].

والدراسات التى تحدثت عن إدريس عليه السلام، وبعيدا عن الأساطير التى حيكت حول سيرته.. لم تتعرض للمرأة فى حياة هذا النبى الكريم الذى رفعه الله مكانا عليا.. فقد ركزت عن أثاره ودعوته للإيمان بالله وملائكته واليوم الآخر.. وأنه علم الناس من أمور دنياهم الكثير..

وقد وصفه الرواة بأنه كان طويل القامة، حسن الوجه، كث اللحية، نحيفا.. كثير التأمل.. قليل الكلام.. ولا يتجه ببصره إلى السماء إلا عند الدعاء.

* * *